القبض على طريف الحادي

مسرحية لـ

ممدوح عدوان

المشهد حارة شعبية. في صدر المسرح حانوت جلس أمامه اثنان من رجال الشرطة الأول يتسلى بعمل (فتوح) بالورق على مهله.. والثاني يستند بمرفقه على فخذه وهو يراقب لعب الآخر بصمت بين حين وآخر يتدخل فينقل ورقة من مكانها.. الآخر يبدو عليه الضيق من هذا التدخل لكنه لا يتكلم.. في التدخل الثالث لم يعد الشرطي الأول قادرا على المتابعة فيلقي بالورق على الطاولة.. ثم يجرب النارجيلية فيراها قد انطفأت . يتنهد.

الثاني: تلعب طاولة زهر؟
الأول: لا. لا أريد أن ألعب شيء.
يفتح باب مجاور للمقهى وتخرج منه امرأة بعصبية. تتطلع بين زبائن الحوانيت ثم تتلفت في الحارة.. تروح وتجي مثل النمرة".
المرأة: (تبربر لنفسها) لا أثر له.. لم يرجع.. ظللت أنتظره حتى الآن ولم يرجع. طوال الليل وأنا أنتظره . قلت لا بد أن يأتي ولكنه لم يأت. وها هو الصباح ولم يأت.
"أحد أصحاب الحوانيت يقرأ صحيفة أمام حانوته، يبعد الصحيفة ويتطلع إلى المراة".
الزبون: اهدئي يا بنت الحلال دعينا نعرف كيف نقرأ الأخبار.
المرأة: الأخبار؟ أقول لك ذهب منذ الأمس ولا خبر عنه.
الزبون: من هو؟
المرأة: طريف الزفت.
الزبون: اسمه طريف الزفت؟
المرأة: لا.. اسمه طريف الحادي..
" من الحارة ومن بعض الأبواب أو من داخل الحوانيت يخرج عدد من الرجال يتحلقون حول المراة هي تحس بجمهور لحكايتها فتسترسل بالكلام شارحة لهم".
المرأة: ألا تعرفون طريف الحادي؟ كان يسكن عندي.. منذ سنة وهو يسكن عندي.. معكم حق أن لا تعرفوه. لم يكن يخرج من غرفته إلا ليذهب إلى عمله كنت أظن أنه مسكين لا يحب مخالطة الناس واذا بها خطة. خطة مرتبة يجب أن لا يعرفه أحد لكي يهرب دون أن ينتبه اليه احد ولكن على من؟ علي أنا؟ أنا أعرفه.. وسأنبش الدنيا بحثاً عنه. ايجار اربعة أشهر أكلها علي.. وكل شهر يرجوني أن أمهله.. وانتظره.. ويبيعني الكلام الحلو (تقلده) ان مع العسر يسرا.
واحد: وبعد ذلك؟
المراة: اختفى نعم يا سيدي اختفى ولا أحد يعرف عنه شيئاً
"هنا يبدأ اهتمام الشرطيين.. يتبادلان نظرة".
الأول: جاءت الرزقة.. قم.
الثاني: ان شاء الله جاءنا شغل.
ينهضان وينضمان إلى الجمع".
"يبعدان الناس عن المرأة".

شرطي1: هل قلت أنه اختفى؟
المرأة: نعم يا سيدي اختفى.
شرطي1: تظنين أنه قتل؟
شرطي2: هل تتهمين أحداً؟
المراة: بعد الشر عنه يا سيدي كيف يتقل؟
شرطي2: هل تظنين أنها عملية اختطاف؟
المرأة: ومن سيخطفه ؟ يا حسرتي عليه. لا شوكة ولا دباحة؟
شرطي1: انتظري. انتظري. نبدأ من البداية.. من هو المختفي؟
المرأة: طريف الحادي يا سيدي. خرج صباح الأمس بعد أن طيب خاطري ووعدني بتأمين المبلغ، ولكنه ذهب ولم يعد.. فص ملح وذاب..
شرطي2: لم يمض عليه اربع وعشرون ساعة. لم العجلة؟ سيعود.
شرطي1: "يتطلع إليه حانقا" يعود؟
المراة: لا يا سيدي.. لن يعود.. كذاب أنا أعرفه حتى حين كان يقول لي: صباح الخير. أتطلع إلى الساعة فأراها الثانية بعد الظهر. كذاب في كل شيء يا سيدي. أنا أعرف أنه لن يعود. قلبي كان يحدثني من البداية أنه يكذب.
شرطي2: هل أخذ أغراضه من البيت؟
المرأة: يا سيدي/ استأجر الغرفة مفروشة. الفرش كله لي.
شرطي1: أليس لديه أغراض؟ أحذية؟ حقيبة؟ كتب؟ ملابس؟
المرأة: ملابس؟ ملابسه كلها من البالة. أغراضه كلها لا تساوي ايجار ثلاثة أيام وانا لي بذمته ايجار اربعة أشهر (تندب). كنت أنتظر أن يدفع لي المبلغ دفعة واحدة لأشتري بها تلفزيونا أتسلى به.
هو نفسه حن علي وقال لي: يجب أن تشتري تلفزيونا تتسلين به.
شرطي: وكيف تسكنين رجلا غريبا لا تعرفين عنه شيئا؟
المرأة: الحاجة يا سيدي. أجرت غرفة لأطعم الأولاد. لكي يكون عندي أحد في الدار . صوت انسان يقول صباح الخير ومساء الخير. يحكي كلمة حلوة.
شرطي1: المهم الآن، ماذا تريدين؟
المرأة: أريده. أريد طريف الحادي. أريد أموالي.
شرطي2: تحبين أن تقدمي شكوى؟
المرأة: الشكوى لله يا سيدي.
شرطي1: وتستطيعين أن تقدمي الشكوى للحكومة ايضا.
شرطي2: يعني لنا.
المرأة: وتجدونه؟
شرطي1: ولو كان تحت سابع أرض نحن شرطة.. حكومة يا بنت الخلق.
المرأة: وتجلبونه؟
شرطي2: نشحطه شحطا . أضع جزمتي على رقبته حتى يخرج لسانه من فمه شبرا ولا أزحزح قدمي حتى يدفع لك حقك على آخر قرش ثم أقوده إلى السجن.
المرأة: "متأثرة" . لا.. لا.. يا سيدي لا حاجة للسجن .. الله يخليك.. المهم أن يرجع.. هو أيضاً مسكين.. موظف بسيط، راتبه على قده. أنا أشفق عليه ومن أجل ذلك قبلت أن أنتظر.
كنت أقول: من يحن على الفقير غير الفقير؟
شرطي2: خلصيني تريدين أن تشتكي أم لا؟
المرأة: طبعا أريد أن أشتكي.
شرطي2: أين يشتغل؟
المرأة: عند الحكومة
شرطي1: "مستنكراً" الحكومة؟ تظنين أن الحكومة حارة؟ الحكومة مدينة.. بحر. فيها موظفون بعدد شعر رأسك.
شرطي2: تستطيعين أن تصفيه؟
المرأة: قطعة .. قطعة.. "تستدرك" أقصد.. لديه صورة في غرفته.
شرطي1: اجلبيها.. سنأخذها.
المرأة: لماذا؟ ربما تركها للذكرى.

شرطي2: سنعممها لكي يتعرفوا عليه.
شرطي1: "كأنه يهمس لها" اجلبيها.. سننسخ عنها ونعيدها لك.
المراة: على عيني.
شرطي1: الحقينا بها الى المخفر.
"تتجه هي إلى بيتها.. وهما إلى الجهة الأخرى من المسرح".
"يلتفت الشرطيان عائدين ويغنيان معاً"

لا بالضجة ولا بالعيطة
الشغلة حلها عند السلطة
يعني حلها عند الشرطة
نحن السلطة ونحن الشرطة
الله أمر نطيع السلطة
والله أمر نحب السلطة
السلطة.. الشرطة.. السلطة.. الشرطة
هاتوا القيد.. وهاتوا البلطة
حتى ننفذ أمر السلطة
واحد: ولك يا عمي ليش البلطة
شرطي: حتى اللي بيغلط له غلط.
منصلحها بحد البلطة.
واحد: واذا الغلطة زغيرة.. زغيرة
شرطي: بتتساوى بكفين ولبطة
شرطي1: اذا غلطنا أي غلطة
شرطي2: بتصلحها النا الشرطة
شرطي1: واذا وقعنا بأي ورطة
شرطي2: بتطالعنا منها الشرطة
شرطي1: وحتى اللي في عنده جلطة
شرطي1: بتداوي له اياها الشرطة
الشرطيان: "معا" نحن السلطة ونحن الشرطة.

الصوت: إلى كافة فروع أجهزة الأمن والشرطة والحراسة يطلب اليكم القبض على المدعو طريف الحادي وتسليمة إلى أقرب مركز للأمن.. طريف الحادي يبلغ من العمر ثلاثين عاما. طوله مئة وثمانون سنتميترا. أشقر.. صلعة نصفية في مقدمة رأسه. عينان زرقاوان.. يميل جسمه إلى البدانة.. وله كرش (مع تغيير المشهد وقراءة الأوصاف يجري الصاق صورة أو أكثر للشخص المطلوب)..
الشرطي1: يوقف عدداً من الناس في صف.
الشرطي: جاهزون؟
الجميع: جاهزون.
الشرطي: قولوا ورائي: نحن المواطنون المخلصين لوطننا
الجميع: نحن المواطنون المخلصين لوطننا.
الشرطي: نقسم بالله العظيم
الجميع: نقسم بالله العظيم
الشرطي: أن نقول الحق.
الجميع: أن نقول الحق.
"مسؤول يدخل".
المسؤول: ماهذا؟ من هؤلاء؟
الشرطي: الشهود يا سيدي.
المسؤول: ماذا يفعلون هنا؟

الشرطي: يتدربون على الشهادة.
المسؤول: لا..لا هذه شهادة جماعية ..لا يجوز.
"يجلس ويفتح ملفا"
المسؤول: بالدور؟
"الشرطي يدفع بالشهود واحداً بعد الآخر وكل منهم يدلي بشهادته".
الأول: بعيني هذه التي سيأكلها الدود، رأيت طريف الحادي وهو يهجم على المخفر، ويلقي عليه قنابل يدوية.
المسؤول: يكفي.
الثاني: أحيانا أراه في الليل، وانا عائد إلى بيتنا، فأجده يوزع منشورات سرية فيها اساءة للحكومة.
المسؤول: بعده.
الثالث: رأيته يخرج متلصصاً من أحد البيوت وهو يتلفت يميناً ويساراً ثم يختفي في أحد الأزقة، وبعد قليل خرج عدد من الأشخاص من البيت ذاته وبالطريقة ذاتها. لا بد أنه اجتماع خاص لتنظيم سري.
الرابع: لقد عرض علي أن أعمل معه في التنظيم السري، وقدم لي سلاحاً فرفضت، ولذلك هددني بأنه سيقتلني ان ابلغت عنه لكن اخلاصي لوطني..
المسؤول: يكفي.. يكفي.. "ينهض ويوجه كلامه للشرطي" ادخلهم.
الأول: إلى أين يا سيدي؟
المسؤول: إلى السجن.
الأول: ولكن نحن شهود يا سيدي.
المسؤول: ما أدراني ان طريف الحادي قد تنكر ودخل بينكم.
"الشرطي يدفعهم إلى الداخل بالقوة ويعود ليقف أمام المسؤول".
المسؤول: المزيد من الحيطة والحذر، الأمر أكبر بكثير مما يبدو عليه.
الشرطي: صحيح يا سيدي.
المسؤول: طريف الحادي يظن نفسه ذكيا.. يتصور أنه يستطيع أن يخدع الحكومة.
الشرطي: فشر يا سيدي نحن هنا.
المسؤول: برافو عليك.
"يخرج المسؤول".
"مع عودة الاضاءة نحن في مقهى شعبي.. الشرطي الأول يدخن نارجيلة ويقرأ الأوصاف في ورقة أمامه على الطاولة.. يقرأ في البداية بصمت. اذ يلقي نظرة، بين حين وآخر، على قائمة الأوصاف ثم يهز رأسه غير مقتنع."
الشرطي: أهذه أوصاف تعطى للقبض على المجرمين؟ كيف اقتنع رؤساؤنا بتعميم أوصاف كهذه؟
"يصمت قليلاً وهو يفكر" لا يمكن أن يكون الأمر سوء تقدير من رؤسائنا. الرؤساء لا يقدرون الأمر بشكل سيء والا لما كانوا رؤساء لا بد أنهم يعتمدون على كفاءاتنا نحن ويجب أن نكون عند حسن ظنهم "يضع النارجيلة جانباً ثم ينصرف إلى الورقة باهتمام. ويقرأ". أشقر.. ها.. ها.. من الذي له شعر أشقر؟ من أوروبا، الأوروبيون كلهم شقر.
"يسجل في دفتر ملاحظاته" اذن هو مدسوس من الاستعمار الأوروبي. "يتوقف عن الكتابة" مدسوس أم أنه هو نفسه أوروبي؟ "يراجع الأوصاف" الطول مائة وثمانون سنتمتراً. اذن انكليزي.. آه يا انكليز يا أولاد الكلب.. وراءنا.. وراءنا؟ أما كفانا ما جاءنا من زلمتكم الشيوعي ابو علي هتلر الذي عمل وعد بلفور.. ولكن بسيطة يا انا يا أنتم.
"يدخل رجل إلى المقهى ويجلس على طاولة".
الرجل: شاي يا ولد.
الشرطي: "غارق في مراجعته للاوصاف" عينان زرقاوان.. آه يا صاحب العيون الزرق والاسنان الفرق. استعماري، علي الحرام استعماري.. أشقر وطويل وعيون زرق واضحة مثل عين الشمس.
"النادل يدخل بكأس شاي يضعه أمام الرجل ويعود".
"الرجل يشرب الشاي بهدوء".
"الشرطي ينتبه اليه متمعناً ومشككاً".
"يحس الرجل أن الشرطي يتطلع إليه فيحس بالحرج.. يغير جلسته ليدير ظهره".
الشرطي: يا سلام كم تقدم المجرمون في التنكر.. استعمار لعين له ألف وجه ولكن على مين؟ علي أنا؟
"يراجع ورقة الأوصاف من جديد" طويل. "يتطلع إلى الرجل" هذه ليست مشكلة الطول مسألة نسبية، طويل بالنسبة لمن؟ أنا طويل بالنسبة له.. وهو طويل بالنسبة لغيره. "يقرأ" أشقر "يهز رأسه استخفافاً" هه أشقر هذه أبسط المسائل.

الصباغ وحده يحل الموضوع طبعا يكفي لشرطي ذكي أن ينتبه لما يجري حوله لكي يتعلم هذه المسائل. زوجة رئيسي كل يوم شعرها بلون.
كلما أرسلني إلى بيته رأيت شعرها بلون غير اللون السابق. أشك أن رئيس المخفر نفسه يتذكر لونه الحقيقي. زوجة رئيس المخفر تفعل ذلك وهي غير مطلوبة ولا ملاحقة فكيف يفعل مجرم مثل طريف الحادي؟ "يصل إلى قرار فينهض متجهاً إلى الرجل" أصلع، ما أكثر الباروكات والشعر المستعار هذه الأيام.. "يصل إلى الرجل ويشده من شعره بشكل مفاجئ، الرجل ينهض متوتراً".
الرجل: ما بك؟ لم تشد شعري؟
الشرطي: "حين لم تخرج الباروكة بيده يبتسم" صرتم تزرعون الشعر زراعة.
الرجل: "صارخا" ما الذي تتكلم عنه يا رجل؟
الشرطي: ولكن على من؟ علي أنا؟ بدل أن تهتموا بزراعة الشعر كان يجب أن تظلوا في قراكم لزراعة الشعير يا بهايم.
أمامي
الرجل: نعم؟
الشرطي: أمامي ولا كلمة
الرجل: حل عنا يا (يهم بالجلوس)
الشرطي: (يمسكه من ياقته) أمامي يا طريف الحادي، وكفاك ألاعيب
الرجل: ماذا؟
الشرطي: "ضاحكا" لم تكن تتصور أن سأكتشفك بهذه السرعة اليس كذلك؟ لم ينفعك هذا التنكر كله.
الرجل: يا أخي من سلطك علي؟
الشرطي: من سلطني عليك؟ ألم تعرف بعد؟ القانون. القانون سلطني عليك "يشهر مسدسه" ارفع يديك.
الرجل: يا أخي ماذا جرى لك؟
الشرطي: ارفع يديك ولا تقم بأي حركة. هيا اعترف انك طريف الحادي.
الرجل: يمد يده إلى جيبه الداخلي نافذ الصبر.. الشرطي يقفز وينبطح أرضاً ويلوح بمسدسه".
الشرطي: ولا حركة.
الرجل: "يخرج هويته من جيبه" سأريك هويتي، لا شك أن هناك التباساً أنا لست طريف الحادي انظر.
الشرطي: "يتقدم محترساً ويأخذ الهوية. يلقي نظرة سريعة عليها ثم نظرة على وجه الرجل " وتزورون الهويات أيضاً؟ أمامي.
الرجل: أشهد أن لا اله إلا الله.
الشرطي: ستلزمك هذه الشهادة عندما تعلق على حبل المشنقة.
الرجل: يا أخي لماذا أعلق على حبل المشنقة؟
الشرطي: أنت تعرف ما فعلته يا عميل يا خائن.. يا مغتصب الأطفال.
الرجل: أنا؟
الشرطي: "ساخرا" لا أنا.
الرجل: أقسم بالله أنني لم أفعل شيئاً.
الشرطي: لم تفعل شيئاً؟ لماذا يعممون أوصافك اذن؟
الرجل: أوصافي؟ أوصافي أنا؟
الشرطي: لا، أوصافي أنا. طبعا أوصافك أنت.
الرجل: يا أخي اسمعني جيداً.. أنا انسان بسيط كنت ذاهباً إلى عملي وغضب الله علي فوقفت هنا لأشرب كاس شاي.. تعرف ليس لدينا شاي.
الشرطي: مؤكد أن غضب الله هو الذي قادك إلى هنا وأوقعك بين يدي اذا كنت قد مررت بغيري من عناصر الأمن ولم ينتبهوا اليك فهذا لا يحدث معي أنا. أنا عيني عشرة على عشرة. هيا أمامي (يشده وهو يتحدث بتهذيب مصطنع) لا تؤاخذني انا أؤدي واجبي فقط أنت منحوس وعمرك خلص.
"يمشي به إلى باب المرأة مع تغيير في الاضاءة او دون تغيير الشرطي يدق الباب.. المرأة تفتح".
الشرطي: مرحبا يا أختي..
المرأة: اهلا.. نعم؟
الشرطي: أنت التي بلغت عن طريف الحادي؟

المراة: نعم يا أخي هل جاءتكم أخبار عنه؟
الشرطي: أخبار؟ جلبت لك خبره. ألم أقل لك أن تبلغي الحكومة؟ فوراً قمنا بتعميم أوصافه فقبضنا عليه.
المرأة: دخيلك أين هو؟
الشرطي: (يشد الرجل من ياقته ويدفعه أمام المرأة) ها هو:
المرأة: هذا. هذا ليس طريف
الشرطي: ماذا؟
المرأة ليس هو
الشرطي: تطلعي إليه جيداً
المرأة: تريد أن تعرفني بطريف الحادي؟ أنا التي أعرفه
الشرطي: وأنا لا أعرفه؟ تعرفين أكثر مني؟
الرجل: يا أخي هي تقول لك أني لست طريف الحادي.
الشرطي: طبعا ستقول ذلك.. امرأة بنصف عقل.. ماذا ستقول غير ذلك. "للمرأة" تفحصيه جيداً ولا تضيعي وقت الحكومة.
المرأة: "تهم بالدخول إلى البيت" لا تضيع وقتي أنت، الطبخة على النار قلت لك ليس هو.
الشرطي: اسمعي يا امرأة هذا الرجل خدعك أول مرة. لا تدعيه يخدعك مرة أخرى.. هذه المرة فيها مسؤولية. الحكومة لا تتسامح مع من يكتم عنها المعلومات؟
المرأة: الله أكبر، أقول لك ليس لهو.. "تغلق الباب"
الشرطي: "لنفسه" تتستر عليه. تريد أن تنقذه أراهن أنها كانت تحبه "للرجل" اعترف ولاك، هل هناك علاقة بينك وبينها؟
الرجل: يا أخي أقسم لك بالله وبكل مقدس في الدنيا أنني لم أرها في حياتي كلها إلا هذه اللحظة؟
الشرطي: معي
الرجل: إلى أين؟
الشرطي: إلى المخفر. هيا.
الرجل: ماذا سأفعل في المخفر؟ المراة لم تتعرف علي.
الشرطي: سيتعرف عليك الرؤساء هيا (يدخله وراء الكواليس ويعود فيظهر له المسؤول)
المسؤول: لما بتكون محقق حقق
يعني فتش اسأل دقق
اذا قدامك اكبر راس
اضرب الضربة وسبق
واذا قدامك أفقر ناس
اوعى تحن وتشفق
اضرب الضربة ع القدامك
واصرخ.. خلي عضامه تطقطق
اسأل.. اسأل.. اضرب واسأل
وشو ما قالوا.. اوعى تصدق
اوعى تصدق.. اوعى تصدق
انه الايد الواحدة ما بتصفق
على أي كلمة فيك تعلق
ركب، فبرك، زور، لفق
شوف المعتر ليش بيسكت
والزنكيل منين بيسرق
شوف الاعزب ليش مو مجوز
واللي مجوز ليش مو مطلق
يعني بالمختصر المفيد
لما بتكون محقق
مالك شغلة غير تحقق.

الصوت: تبين أن المجرم الهارب طريف الحادي يتمتع بقدرة فائقة على التنكر ولذا فان أوصافه اضافة إلى الأوصاف الواردة في تعميمنا السابق، يمكن أن تكون كما يلي:
أسمر كثيف الشعر قصير القامة له شاربان قصيران.. نحيل القامة فقد ثلاثاً من اسنانه الأمامية السفلية وعمره يقارب الخمسين عاماً.
صوت آخر: إضافة لتعميماتنا السابقة يمكن أن يكون طريف الحادي في العشرين من عمره. في عينه اليسرى حول بسيط ويشكو من تشوه في شفته السفلى تجعل نطقه عسيراً.
صوت ثالث: عينان خضراوان.. شعر أجعد.. قصير وبدين.
"تختلط الأصوات وأثناء ذلك يتم الصاق صور متعددة لأناس مختلفين تماماً. بينما تقوم الشرطة باعتقال اعداد من الناس دون تمييز".
"مع عودة الاضاءة الطبيعية بظهر المقهى".
"الشرطي الأول يرتدي ملابس مدنية ونظارة سوداء وهو يتظاهر بقراءة جريدة.. يدخل الشرطي الأول بملابسه العسكرية ويجلس مديراً قسماً من ظهره للآخر وهو يسترق اليه النظر"
شرطي1: تنكر جديد يا ابن الحرام متى هربت من السجن؟ ولكن أين تطير؟ نهايتك على يدي دائماً ان شاء الله.
شرطي2: "]رفع نظره عن الجريدة وينتبه إلى الشرطي الذي يتظاهر أنه لا يراه" ما أخبثك. يا طريف الحادي.. صرت تتنكر بزي الشرطة؟ ولكن على من تظن نفسك تلعب؟ "يزيح كل منهما كرسيه تدريجياً نحو الآخر.. ثم يقفزان دفعة واحدة ويمسك كل منهما بتلاليب الآخر".
"الشرطي الأول يخلع نظارة الشرطي الثاني، والثاني يزيح سدارة الأول عن رأسه".
شرطي2: أنت؟
شرطي1: أنت؟
شرطي2" ظننت أن طريف الحادي قد تنكر في زي شرطي.
شرطي1: وأنا ظننت أنه هرب وتنكر بهذه الملابس.
شرطي2: يهرب؟ من أين؟
شرطي1: من السجن. أنا قبضت عليه.
شرطي2: كم واحد؟
شرطي1: "مندهشاً" كم واحد؟
شرطي2: طبعا كم واحد؟
شرطي1: واحد .. واحد اسمه طريف الحادي..
شرطي2: واحد فقط؟ عندنا في المخفر قبضنا على أربعة عشر طريفاً، أنا نفسي قبضت على ثلاثة.
انظر إلى الجريدة.. الحملة في المحافظات كلها. قبضوا على المئات وهناك قوى تتعقبهم خارج الحدود.
شرطي1: "مندهشاً" وأنا أظن أن طريف الحادي واحد فقط،
شرطي2: أين تعيش؟ هؤلاء عصابة روعت البلد يا رجل. لهم علاقة بالمافيا وبالمخابرات الأميركية. أقول لك عصابة كبيرة.
شرطي1: عصابة تهريب؟
شرطي2: تشكيلة. بينهم مهربون وقتلة (يهمس له) وسياسيون.
شرطي1: يا ساتر.
شرطي2: طبعاً الدوريات في الليل والنهار.
شرطي1: لا اله الا الله. تصور أنا قبضت على واحد منهم. ظننت أنني أستطيع أن أرتاح وأحصل على مكافأة أو ترقية أين أنا وأين الناس؟ صحيح العمر يخلص والشغل لا يخلص.
شرطي2: منذ أسبوع لا ننام أكثر من ساعة واحدة في الليل.
سرطي1: لا شك أنهم سيصرفون لكم مكافآت.
شرطي2: الله يسمع منك.
شرطي1: وأنا الذي لم أقبض إلا على واحد سأظل على راتبي.
شرطي2: يا مسكين وماذا يكفي الراتب؟ هل عندك عائلة؟
شرطي1: خمسة هموم على القلب.

شرطي2: الله يعين.. قم.. قم، بدل جلوسك هنا وتضييع الوقت، ثم اشتغل واقبض على كم طريف حادي تطعم بهم عيالك.
شرطي1: معك حق. يا لله.
شرطي2: قال يا عبدي اسعى وأنا أسعى معك، رح يا رجل، الله يرزقك بكل خطوة طريف حادي.
شرطي1: استعنا بالله "يهم بالنهوض"

"طريف الحادي يمر أمام المقهى نعرفه من صوره الملصقة والتي عممت في المرة الأولى
طريف: السلام عليكم "يردان السلام باحترام".
وعليكم السلام ورحمة الله
النادل: أهلا، أهلا وسهلا. شرف. أستاذ طريف. شرف "يقدم له كرسيا" الحمد لله على السلامة.
طريف: الله يسلمك. "يدخل إلى المقهى".
النادل: طولت الغيبة أستاذ.
طريف: ظروف يا أخي ظروف.
النادل: كاسة شاي استاذ؟
طريف: اذا سمحت. والحساب أيضاً.
النادل: "يتجه إلى حيث يصب الشاي" ولم العجلة على الحساب؟
طريف: أريد أن أصفي مشاكلي واحدة واحدة "للشرطيين اللذين يستمعان إليه بفضول محايد" أولاً الدين. اخلص من الدين وجع الضرس والرأس "يضحك. يضحكان معه مجاملة".
النادل: "يأتي بكأس الشاي" يا ليت مشاكلك كلها مثل ديوني يا أستاذ طريف.
تفضل.
شرطي: "ممازحاً" وهل عنده مشاكل أهم؟
النادل: أهم مشكلة في الدنيا، المرأة "لطريف" أم سعيد فضحتك في الدنيا كلها. اشتكت عليك للشرطة.
طريف: وهذه أيضاً سأحلها. سأدفع لها اليوم حسابها. وغداً سأقص لسانها.
شرطي2: "متحفزاً" تقص لسانها؟
طريف: نعم. سأتزوجها "يضحك الجميع ضحكاً صاخباً".
طريف: "للنادل" قم الآن شف لي حسابي.
النادل: "ينهض إلى الجدار ويبدأ في البحث عن الاسم".
طريف: "يتأمل الجدار المليء بالصور" أراك قد أكثرت من الصور.
النادل: رغبة الحكومة.
طريف: "للشرطيين" حتى الشوارع مليئة بالصور.
شرطي: ضرورات أمنية.
النادل: لا أعرف كيف أجد اسمك. ربما كان تحت واحدة من هذه الصور.
طريف: أنا أبحث معك "ينهض ويبحث معه على الجدار" هنا حساب، لكن الاسم تحت الصورة ألا ترفع الصورة؟
النادل: "للشرطيين" نستطيع رفع الصورة؟ سنعيد الصاقها.
شرطي1: قد تمزق الصورة "ينهض ويقترب من طريف والنادل" سنجرب "يمسك صورة لطريف.. ويجرب ازاحتها عن الجدار ولأن الصاقها ليس متقناً ينجح في ذلك" هذه رفعت. ما الاسم؟
النادل: طريف. طريف الحادي.
شرطي1: "لزميله" تعال ساعدنا.
شرطي2: "ينهض متعاوناً مع الآخرين في البحث، يرفع صورة ويحاول قراءة الاسم تحتها".
"الجميع يبحثون بالطريقة ذاتها وهم يرددون" طريف الحادي. طريف الحادي.
شرطي1: "يعثر على الاسم" ها هو. طريف الحادي "يأتي الثلاثة إليه. النادل يقرأ الحساب ويجمعه بقلم وراء اذنه".
النادل: خمسة وأربعون ليرة ونصف.
طريف: تكرم عينيك. (يخرج من جيبه نقوداً) هذه خمسون. تضيف الشباب شاياً على حسابي والباقي لك.
النادل: يكثر خيرك يا أستاذ طريف (يذهب لجلب الشاي)
شرطي1: ولكن خمسة وأربعون ليرة رقم كبير (يعود الثلاثة للجلوس).

طريف: ماذا أفعل؟ أعيش وحدي السكن عند ام سعد. والمطبخ مشترك. كلما أردت عمل شاياً أراها في المطبخ فآتي إلى هنا وأشرب الشاي.
شرطي2: وهكذا تراكمت الديون.
طريف: هذه ديون بسيطة. كان علي ايجار اربعة اشهر. صاحبة البيت حولت حياتي إلى جحيم. لذلك ذهبت إلى القرية بعت البستان وجئت. سأوفي ديوني كلها.
شرطي1: ألست موظفاً؟.
طريف: موظف يا سيدي. ولكن هل تستطيع أن تعيش من راتبك؟
شرطي2: على رأيك. نحن أيضاً موظفان. ولولا نشاطنا في القبض على المشبوهين والمجرمين والمكافآت التي تأتينا من ذلك لما عرفنا كيف ندبر أمورنا.
شرطي1: قل نحن لدينا أسر أيضاً. أنت تعيش وحدك؟
شرطي2: سيبتلى أما سمعته يقول أنه سيتزوج؟
"النادل يجلب الشاي للشرطيين. طريف ينهض"
طريف: عدم المؤاخذة يجب أن ألحق أم سعيد قبل أن تنام.
شرطي2: معك حق اكسر عينها.
طريف: على رأيك اقطع راس القط من أول ليلة "يخرج".
شرطي1: رأس القط "يهز رأسه" طوال عمري أسمع هذه التوصية. ولكنني منذ عشر سنوات وأنا متزوج ولم أجد القط لأقطع راسه "يضحكان مع النادل".
"في الطرف الآخر من المسرح المرأة في بيتها تشتغل في ترقيع ثوب".
"الباب يقرع.. طريف يقرع الباب".
المرأة: "تترك عملها وتنهض إلى الباب" من؟
طريف: أنا طريف.
المرأة: طريف الحادي "تفتح الباب" الله لا كان رجعك بالسلامة.
طريف: "يدخل مبتهجاً" يطاوعك قلبك على هذا الكلام؟ مساء الخير.
المرأة: أين اختفيت؟
طريف: اختفيت؟ اسمعي. منذ الآن ستتكلمين معي بأدب.
المراة: اخفض صوتك. الأولاد نائمون. قل لي أين كنت؟
طريف: "وهو يجلس باسترخاء" أخذت اجازة. وذهبت إلى القرية. بعت البستان وجلبت لك الايجار.
المرأة: "بلطف" وهل بيننا ايجار؟
طريف: لم أنه كلامي. وقررت أن أوفر على نفسي الاجرة.
المرأة: "تشهق" ستترك البيت؟
طريف: لا سنتزوج.
المرأة: "بحياء مصطنع" فاجأتني.
طريف: لهذا أقول لك لعد اليوم ستتكلمين معي بأدب ولن تصرخي في وجهي.
المرأة: "تضحك بخجل" ولن تحتاج إلى أن تدق الباب. سأعطيك نسخة من المفتاح.
طريف: ولن أسهر وأنام في الغرفة التي كنت استأجرها.
المرأة: وأين ستنام اذن؟
طريف: سأسهر وأنام هنا "متثائباً" لتوفير الكهرباء.. "تضحك بغنج" اسمعي.
تلك الغرفة زائدة . ماذا سنفعل بها؟
المرأة: نؤجرها لابن حلال.
طريف: قلت لك سأتزوجك. لماذا تؤجرينها؟
المرأة: ماذا سنفعل بها اذن؟
طريف: ألم أقل لك أنني بعت البستان؟ أنا أرى بدلاً من أن نبعزق ثمنه يمكن أن نشتري به بضاعة أدوات قرطاسية أشياء من هذا النوع ونضعها في تلك الغرفة، نحولها حانوتاً "بلهجة من صار الآمر الناهي" غداً أجلب عاملاً ونهدم الجدار الخارجي ونركب للغرفة باباً على الشارع.
المرأة: ولم العامل؟ بعد الدوام نتعاون معاً ونوفر أجرة العامل.
طريف: على رأسي يا أحسن مدبرة منزل في العالم خذي "يخرج مبلغاً من المال ويعطيها قسماً منه".

المرأة: ما هذا؟
طريف: الايجار
المرأة: والباقي؟
طريف: ما علاقتك به؟
المرأة: علاقتي؟ تريد أن تترك هذا المبلغ كله معك؟ هات هات
طريف: كما تشائين خذي "ينهض ليخلع سترته"
المراة: ماذا تفعل؟
طريف: أريد أن أرتاح. سأنام.
المراة: إلى غرفتك.
طريف: ألم نتفق؟
المراة: اتفقنا نعم. ولكن بقي لك الحق في يوم واحد آخر في الغرفة. وغداً تجلب المأذون وينتهي الايجار.
طريف: أمرك "يبتسم لها" أتعرفين بم فكرت؟ ستكون هدية الزواج مني جهاز تلفزيون تتسلين به.
المرأة: لن أحتاج إلى التلفزيون بعد الزواج "اطفاء على المرأة"

"اضاءة على رجل بدوي ومعه علبة لبن يجلس قربها". "رجل يقف أمامه ويساومه يدخل الشرطيان وقد تنكرا في هيئة غريبة وهما يراقبان الرجل".
الرجل: "للبدوي" بعشرين ليرة
البدوي: يا ولدي. ايجار السيارة عشرون ليرة
الرجل: وهل تريد أن تشتري سيارة بعلبة لبن؟ طيب بخمسة وعشرين.
البدوي: اتق الله يا رجل أنت لا تدفع لي نصف دولار. ألا تعرف كم صار سعر الدولار؟
الرجل: أنت طريف فعلا "ينتبه الشرطيان إلى الكلمة".
الأول: هل قال طريف؟
الثاني: "يهز رأسه"
الأول: وقع
الثاني: انتظر يجب أن تحترس قد يكون مسلحاً "يحترس الشرطيان".
الرجل: "للبدوي" ألا تبيعها بثلاثين؟
البدوي: الله معك يا عمي رح إلى شغلك واتركني ابحث عن رزقي.
الرجل: كما تشاء "يذهب"
الأول: "لزميله" ما رأيك بناظم الغزالي؟
الثاني: ما الذي جلبه على ذهنك الآن؟
الأول: ألا يغني يا حادي العيس هل مرت بك الابل؟
الثاني: ويغنيها صباح فخري أيضا.
الأول: المهم يا حادي العيس
الثاني: لم أفهم
الأول: طبعاً لن تفهم أقول لك يا حادي العيس.
الثاني: ماذا تعني؟
الأول: ما اسم المجرم الذي نبحث عنه؟
الثاني: طريف
الأول: طريف ماذا؟
الثاني: طريف الحادي
الأول: الحادي. أليس كذلك؟ والأغنية تقول يا حادي العيس
الثاني: نقبض على صباح فخري.
الأول: هذا سوري من حلب مالنا وله
الثاني: نقبض على ناظم الغزالي اذن.
الأول: ناظم مات منذ سنين يا ذكي.
الثاني: ماذا نفعل إذن؟

الأول: يا فهيم يا حادي العيس يعني بدوي يغني للابل.
الثاني: صحيح هل مرت بك الابل
الأول: ومن الذي يرعى الابل؟
الثاني: البدو
الأول: يعني كان يجب أن نتوقع أن طريف الحادي سيتنكر في هيئة بدوي
الثاني: صحيح
الأول: وأمامنا الآن بدوي
الثاني: صحيح
الأول: واسمه طريف
الثاني: سمعت الرجل الآخر باذني يقول له أنت طريف.
الأول: طريف وبدوي وحادي الابل يعني؟
الثاني: هو لنقبض عليه ولكن انتظر، الأوصاف تقول أن طريف الحادي له كرش.
الأول: هل نسيت أنه مجرم مطارد. مجبر على التخفي يعيش في خوف دائم؟ الهرب والخوف ماذا يفعلان بالانسان؟
الثاني: ماذا؟
الأول: يذوبان عظامه وليس كرشه فقط.
الثاني: معك حق
الأول: ثم لا تنس قدرته على التخفي اسمع هذه أول مرة يخطر لاحد من أجهزتنا أن يقبض على بدوي قبضوا على طلاب وعمال وموظفين ولم يخطر لهم البدو. هذه فرصتنا نقبض عليه ولا نبلغ عنه، ثم نشن حملة على البادية. أنا واثق أننا لن نعود بأقل من مئة طريف حادي.
الثاني: افكارك عظيمة
الأول: هيء سلاحك لتحميني
الثاني: "يهيء سلاحه"
الأول: "يقترب من البدوي ويقبض على كتفه بقوة" وقعت يا مجرم
البدوي: "يفاجأ وينهض مذعوراً" بسم الله الرحمن الرحيم.
الأول: بسم الله؟ تظنني جنياً؟ هل تتوقع أن اختفي حين تقول باسم الله؟
الثاني: حتى ولو اختفيت أنت. أنا هنا.
البدوي: "يفاجأ بالثاني" ألف باسم الله ماذا تريدون مني؟
الأول: أمامي إلى المخفر
البدوي: ماذا فعلت أنا أبيع اللبن فقط
الأول: وهل انتظرك حتى تبيع المخدرات؟ هيا
البدوي: ماذا فعلت؟
الأول: هل أنت حادي؟
البدوي: كل واحد في عشيرتنا حادي
الأول: ستدلني على مرابض عشيرتكم في المخفر، هيا
البدوي: واللبن؟
الأول: "للثاني انتبه لعلبة اللبن – يخرج به"
الثاني: "يمسك بعلبة اللبن يضع اصبعه فيها ويذوق اللبن" يا سلام لبن البدو "يحمل العلبة وينادي زميله" سأمر إلى البيت قليلاً والحق بك "يخرج بالعلبة من الطرف الآخر".

(صور المعتقلين تملأ المسرح وبينها صور نجوم سينما مثل شارلي شابلن، اوروك هدسون أو عمر الشري، أو الان ديلون ومايكل جاكسون وعبد الحليم حافظ وناظم الغزالي ونصري شمس الدين ثم تنزل صور نساء مثل أم كلثوم، فيروز، داليدا، برجيت باردو، تمثال الحرية الأميركي حمامة السلام وكلها كتب عليها "مطلوب حيا أو ميتا طريف الحادي"..
"الشرطي الثاني يجلس على كرسي مثل تلميذ صغير والشرطي الأول يغني وكأنه يشرح له درساً":

فتح عينك عشرة عشرة

لا تضلك مهبول وطيب
شغلك ما هو شغلة سخرة
ومافيه حاجة تكون متهيب
كل الناس اللي شايفهم
واحد واحد متهمين
انت عارفهم ناتفهم
عارف كل واحد فيهم مين
فيهم طيب عامل حاله ميت
وفيهم ميت عامل حاله طيب
وفيه واطي عامل حاله عالي
هز برأسك قلن : طيب
كل واحد عارف شو ذنبه
والمذنب ذنبه على جنبه
واللي بيضحك لومو مذنب
بيخبي ضحكاته بعبه
لومو مذنب مابيتلفت
بيضله ماشي بدربه
لولا ذنوبهم كان الواحد
مانه خايف غير من ربه
فاذن خلي عيونك عشرة عشرة
واحبسهم كلهم بالمرة
حتى الطيب من بيناتهم
بيصفي للميت درس وعبره

"أمام بيت المرأة طريف الحادي يشتغل مع المراة في نقل الحجارة والتراب".
الشرطي: "يقترب منهما" مرحبا
طريف: أهلا
الشرطي : "للمرأة" حضرتك بلغت عن اختفاء طريف الحادي؟
المراة: نعم " تنظر إلى طريف باسمة" ولكنه عاد
الشرطي: أجيبي على سؤالي فقط، أنت بلغت وأعطيت أوصافه؟
المرأة: نعم أنا.
الشرطي: تعالي معي
المراة: إلى أين؟
الشرطي: إلى المخفر
طريف: مخفر؟ ولماذا المخفر؟
الشرطي: اخرس انت
طريف: ويقول لي اخرس.
الشرطي: طبعا اقول لك اخرس. لا تتدخل في شغل الحكومة "للمرأة" أمامي
المرأة: قل لي ماذا تريد؟
الشرطي: لدينا في مخفر سبعة وخمسون طريف حادي "بفخر" هناك مباراة بين المخافر وستتم التصفية على مستوى المحافظات في آخر الشهر لتقرير أفضل محافظة في ملاحقة طريف الحادي.
المرأة: اسمع يا أخ لا شك أن هناك خطأ
الشرطي: لا.لا. لا خطأ ولا من يحزنون. أنت قريبة من مخفرنا. ستأتين لتشهدي انهم كلهم طريف الحادي
طريف: لو سمحت دعني أشرح لك الموضوع
الشرطي: وما علاقتك أنت؟ آه؟ أنا أقوم بعملي. وأنا أحتاج إلى المرأة لكي تساعد الحكومة في شغلها فما علاقتك أنت؟
طريف: هذه المرأة زوجتي.

الشرطي: ولتكن امك. ما علاقتي بهذا الكلام؟
المرأة: يا أخي. ألست تريدني من أجل طريف الحادي؟
الشرطي: نعم
المرأة: طريف الحادي هو هذا
الشرطي: "يتطلع اليه باحتقار" هذا؟ هذا طريف الحادي؟ هذا يستحق أن يشغل الحكومة كلها؟
المرأة: نعم هذا هو. رجع وتزوجنا
طريف: "يخرج هويته" انظر هذا أنا طريف الحادي
المراة: كما ترى . لم تعد هناك مشكلة.
الشرطي: لم تعد هناك مشكلة؟ هل الدنيا على مزاجك ومزاجه؟ تشغلين الحكومة طوال هذه المدة لكي تقولي؟ رجع وتزوجنا؟ ماذا نفعل بسبعة وخمسين طريف الحادي الذين لدينا؟
المرأة: تطلقون سراحهم. الشخص المطلوب هنا
طريف: والآخرون يعودون إلى بيوتهم
الشرطي : قلت لك لا تتدخل "للمرأة" أمامي.
المراة: يا أخي كن منطقيا
الشرطي: المنطق في المخفر. في المخفر فقط هيا "يشدها"
طريف: وأنا؟
الشرطي: ابق حيث أنت
طريف: مستحيل أن أبقى سأذهب مع زوجتي
الشرطي: ستقف بباب المخفر. واذا دخلت يا طريف الحادي اكسر رجلك. لا تعطلنا هيا "يخرج بالمرأة" "طريف الحادي يبقى وحده في بقعة مضيئة".

"خطاب سياسي حماسي مع ضجة وهتافات وتصفيق جماهير".
الخطيب: ونعد جماهيرنا وشعبنا الكريم، بأن حملتنا ستستمر ولن تتوقف حتى القضاء على آخر طريف حادي على وجه الأرض. ومهما بلغت المعونات التي يتلقاها، والحلفاء الذين يقدمون له الدعم والمساعدة فان يقظة شعبنا وتعاونه مع أجهزة الأمن كفيلان بقطع الطريق على طريف الحادي وعلى كل طريف حادي وإلى الأبد.

صوت تصفيق

عن قصة قصيرة لعزيز نيسين
1980